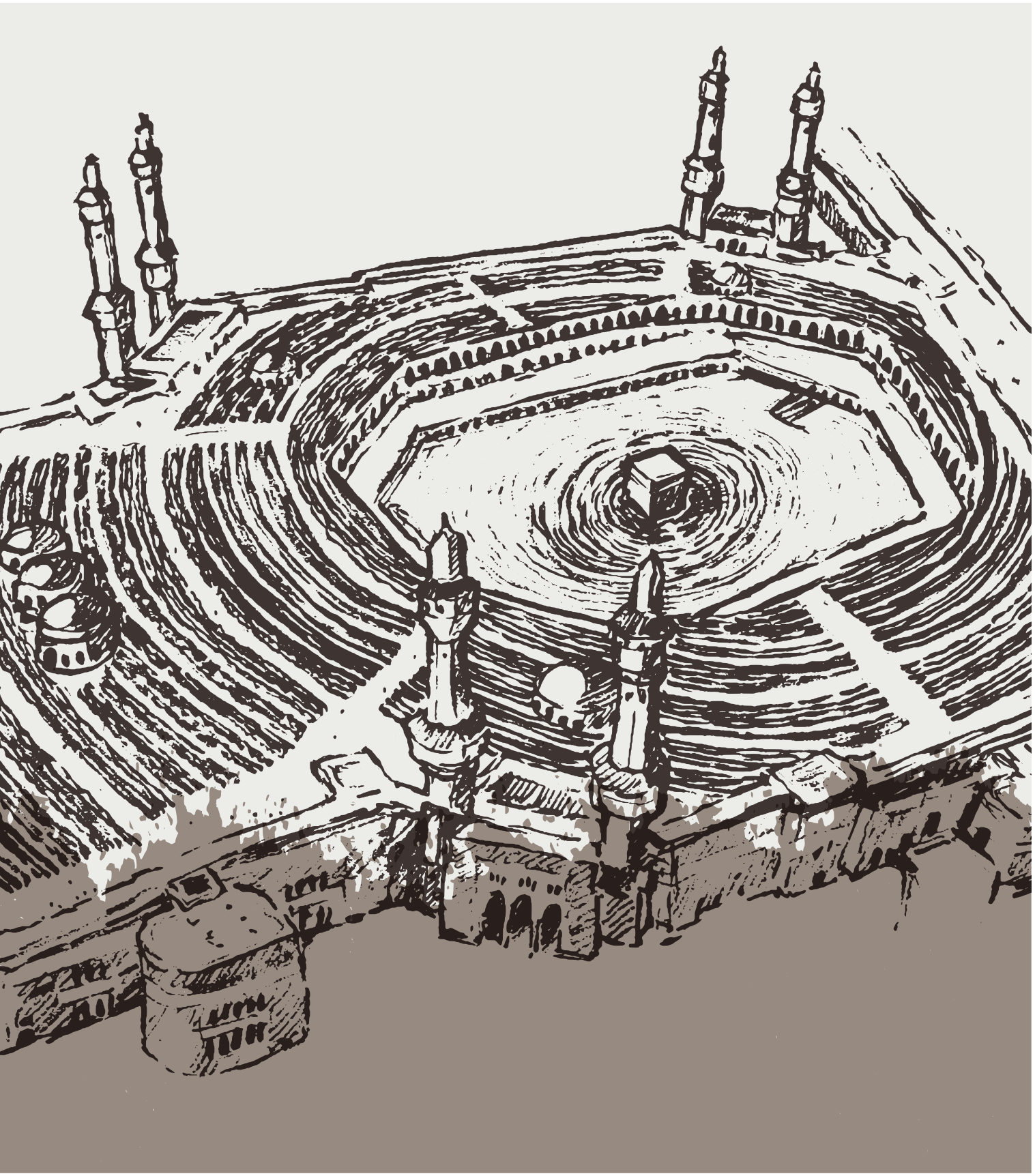

محبة الرسول ﷺ وما يتبع ذلك

عن أَنَسِ بْنِ مَالِكٍ ﷺ، قَالَ:

١ بَيْنَمَا أَنَا وَالنَّبِيُّ ﷺ خَارِجَانِ مِنَ المَسْجِدِ، فَلَقِيَنَا رَجُلٌ عِنْدَ سُدَّةِ المَسْجِدِ، فَقَالَ: يَا رَسُولَ اللَّهِ، مَتَى السَّاعَةُ؟

٢ قَالَ النَّبِيُّ ﷺ: «مَا أَعْدَدْتَ لَهَا؟»،

٣ فَكَأَنَّ الرَّجُلَ اسْتَكَانَ،

٤ ثُمَّ قَالَ: يَا رَسُولَ اللَّهِ، مَا أَعْدَدْتُ لَهَا كَبِيرَ صِيَامٍ، وَلا صَلاةٍ، وَلا صَدَقَةٍ،

٥ وَلَكِنِّي أُحِبُّ اللَّهَ وَرَسُولَهُ،

٦ قَالَ: «أَنْتَ مَعَ مَنْ أَحْبَبْتَ»[١١٣].

(١١٣) رواه البخاريُّ (٧١٥٣)، ومسلم (٢٦٣٩).

آيات

- ﴿إِنَّ ٱللَّهَ عِندَهُۥ عِلْمُ ٱلسَّاعَةِ وَيُنَزِّلُ ٱلْغَيْثَ وَيَعْلَمُ مَا فِى ٱلْأَرْحَامِ ۖ وَمَا تَدْرِى نَفْسٌ مَّاذَا تَكْسِبُ غَدًا ۖ وَمَا تَدْرِى نَفْسٌۢ بِأَىِّ أَرْضٍ تَمُوتُ ۚ إِنَّ ٱللَّهَ عَلِيمٌ خَبِيرٌ﴾ [لقمان: ٣٤].
- ﴿قُلْ إِن كُنتُمْ تُحِبُّونَ ٱللَّهَ فَٱتَّبِعُونِى يُحْبِبْكُمُ ٱللَّهُ وَيَغْفِرْ لَكُمْ ذُنُوبَكُمْ ۗ وَٱللَّهُ غَفُورٌ رَّحِيمٌ﴾ [آل عمران: ٣١].
- ﴿وَمَن يُطِعِ ٱللَّهَ وَٱلرَّسُولَ فَأُو۟لَٰٓئِكَ مَعَ ٱلَّذِينَ أَنْعَمَ ٱللَّهُ عَلَيْهِم مِّنَ ٱلنَّبِيِّۦنَ وَٱلصِّدِّيقِينَ وَٱلشُّهَدَآءِ وَٱلصَّٰلِحِينَ ۚ وَحَسُنَ أُو۟لَٰٓئِكَ رَفِيقًا﴾ [النساء: ٦٩].
- ﴿قُلْ إِن كَانَ ءَابَآؤُكُمْ وَأَبْنَآؤُكُمْ وَإِخْوَٰنُكُمْ وَأَزْوَٰجُكُمْ وَعَشِيرَتُكُمْ وَأَمْوَٰلٌ ٱقْتَرَفْتُمُوهَا وَتِجَٰرَةٌ تَخْشَوْنَ كَسَادَهَا وَمَسَٰكِنُ تَرْضَوْنَهَآ أَحَبَّ إِلَيْكُم مِّنَ ٱللَّهِ وَرَسُولِهِۦ وَجِهَادٍ فِى سَبِيلِهِۦ فَتَرَبَّصُوا۟ حَتَّىٰ يَأْتِىَ ٱللَّهُ بِأَمْرِهِۦ ۗ وَٱللَّهُ لَا يَهْدِى ٱلْقَوْمَ ٱلْفَٰسِقِينَ﴾ [التوبة: ٢٤].

الراوي

هو: أبو حمزةَ، أنسُ بنُ مالكِ بنِ النضرِ الأنصاريُّ، خادم رسول الله ﷺ، وآخر أصحابه بالبصرة موتًا، قَدِمَ رسولُ الله المدينة وهو ابنُ عَشْر سنين، فأتت به أمه الصالحة ليخدم الرسول ﷺ، فغزا معه غَيْرَ مَرَّةٍ، وبايَع تحتَ الشجرة،، وكان من المكثرين في الفتوى والرواية، تُوفِّي سنةَ: (٩٣هـ)[١].

خلاصة

سألَ أحدُ الصحابةِ النبيَّ ﷺ عن موعد الساعة، فَنَبَّهه إلى ما هو أهمُّ من علم وقتها الذي لا يعلمه إلا الله، وهو الاستعداد لها، فذكر الرجلُ أنه لم يستعدَّ بكثير عملٍ، غير أنه يحب الله ورسوله. فأخبره النبيُّ ﷺ أنَّ ذلك سببٌ لدخول الجنة وصحبته ﷺ فيها، إن كان صادقًا في محبته.

(١) تراجع ترجمته في: «سير أعلام النبلاء» للذهبيِّ (٤/ ٤١٧-٤٢٣)، «معرفة الصحابة» لأبي نعيم (١/ ٢٣١)، «معجم الصحابة» للبغويِّ (١/ ٤٣)، «أسد الغابة» لابن الأثير (١/ ١٥١-١٥٣).

١ يخبر أنسُ بنُ مالكٍ ﷺ أنَّه بينما كان خارجًا من المسجد مع النبيِّ ﷺ إذ قابلهم رجلٌ أمام المسجد عند **الظِّلال والسُّقُف التي تحيط بالمسجد**، فسألَ النبيَّ ﷺ عن وقت قيام الساعة.

وقيل إن هذا الرجلَ هو الأعرابيُّ الذي بال في المسجد قبل ذلك، وهو ذُو الخُوَيْصِرة اليمانيُّ(١١٤).

٢ فصَرَفَه النبيُّ ﷺ عن سؤاله إلى سؤالٍ أهم، وهو: ماذا أعددتَ لقيام الساعة؟ وهل تأهَّبت لقدومها بالإكثار من الطاعات والعبادات؟

ومرادُ النبيِّ ﷺ تنبيهُ الرجل إلى ما هو واجبٌ عليه ومطلوبٌ منه، وهو الاستعداد للحساب والعمل لدخول الجنة، إذ ليس مطلوبًا منه معرفة وقت يوم القيامة، فضلًا عن أنَّه لا يعلم وقتها إلا الله سبحانه وتعالى.

٣ فلمَّا سمع الرجلُ سؤالَ النبيِّ ﷺ **خضع وسكن**؛ احتقارًا لعمله، واعترافًا بتقصيره، واعتذارًا عن قُبح سؤاله.

(١١٤) ينظر: «فتح الباري» لابن حجر (١٠/ ٥٠٥).

٤ ثم ذكر أنَّه لم يستعدَّ لها بكبيرِ عمل؛ فما أكثر من النوافل والقُرب والطاعات التي تُدنيه من الجنة وتُنجيه من النار، وإنما اكتفى بالفرائض التي يجب على المسلم فِعلها.

ويمكن أن يكون قولُه ذلك تواضعًا منه وهضمًا لحقِّ نفسه، أو أنَّه رآه لا يقوم بشيءٍ كثيرٍ في نظره، أو أن يكون أراد أن كل ذلك يتأخَّر أمام قوة محبته الصادقة لله والرسول، التي لا يضاهيها عملٌ[١١٥].

٥ إلَّا أنَّ أعظم ما رآه الرجلُ من أعماله التي تنفعه يوم القيامة: محبَّتُه لله ورسوله، وهي محبة صادقة تقتضي آثارها من الطاعة وغيرها.

٦ ولهذا أخبره النبيُّ ﷺ أنه إن كان صادقًا في محبته تلك، مُطَبِّقًا شروطها، فإنَّه مُلْحَقٌ بِمَن أحبَّ، مصاحبٌ للنبيِّ ﷺ وأصحابه في الفردوس الأعلى من الجنَّة، قال تعالى: ﴿وَمَن يُطِعِ ٱللَّهَ وَٱلرَّسُولَ فَأُوْلَٰٓئِكَ مَعَ ٱلَّذِينَ أَنۡعَمَ ٱللَّهُ عَلَيۡهِم مِّنَ ٱلنَّبِيِّـۧنَ وَٱلصِّدِّيقِينَ وَٱلشُّهَدَآءِ وَٱلصَّٰلِحِينَۚ وَحَسُنَ أُوْلَٰٓئِكَ رَفِيقٗا﴾ [النساء: ٦٩]. ولهذا قال أنسٌ ﷺ «فَأَنَا أُحِبُّ النَّبِيَّ ﷺ وَأَبَا بَكْرٍ، وَعُمَرَ، وَأَرْجُو أَنْ أَكُونَ مَعَهُمْ بِحُبِّي إِيَّاهُمْ، وَإِنْ لَمْ أَعْمَلْ بِمِثْلِ أَعْمَالِهِمْ»[١١٦].

(١١٥) ينظر: المفهم للقرطبي (٦/ ٦٤٦).

(١١٦) البخاري (٣٦٨٨)، ومسلم (٢٦٣٩).

اتّباع

١ لم يعبأ أهلُ أنس ولا أنسٌ ﷺ أن يخدم النبيَّ ﷺ وهو حُرٌّ لا عبد، وقد كانت الخدمة حينئذ للعبيد لا لأبناء السادة، وقد أخذته أمه وذهبت به إلى النبيِّ ﷺ ليخدمه. فالمسلم قد يراعي العادات والأقاويل لكن لا تمنعه من تحصيل الخير في الدارَين.

٢ حَرِص أنسٌ ﷺ على ملازمة النبيِّ ﷺ وخدمته مع صغر سنِّه، وقد جاءت أحاديث أنه ربما لعب ذلك الوقت مع الغلمان(١١٧)، فلا يلزم أن من تربية الصغير على الأمور الفاضلة أن يمنع مما يقتضيه سنه من اللعب ونحوه.

٣ سأل الرجلُ عن وقت الساعة، والنبيُّ ﷺ لم يجبه بل صرفه إلى سؤالٍ آخر تتعلق به مصلحة السائل وغيره، وهو العمل لوقت الساعة، وهذا الأسلوب يُعرف عند البلاغيين بأسلوب الحكيم، وهو أن يُجيب المسؤول بأكثرَ أو أهمَّ مما يتضمنه السؤال لحكمةٍ غابت عن السائل؛ كجواب النبيِّ ﷺ لمَن سأله عن الوضوء بماء البحر بـ«هو الطَّهُورُ مَاؤُهُ، الحِلُّ مَيْتَتُهُ»(١١٨)؛ فأفتاهم بعموم طهارة ماء البحر، ثم زادهم بأن ميتة البحر حلالٌ(١١٩)، فعلى الداعية والمعلم أن يكون فطناً لحاجة الناس، حكيمًا في كلامه وإجاباته، لا ينساق لضغط أسئلتهم، بل يُحَدِّث الناس بما يفيدهم من أمر دينهم ودنياهم، دون ما يثير الفتن، أو لا فائدة في علمه.

٤ حوَّل النبي ﷺ تفكير السائل من الأسئلة التي لا تعنيه، أو لا يوصل لجوابها: (متى الساعة).. إلى الخطوة العملية: (ماذا أعددتَ لها)، ولهذا كان الإمام مالك يكره الكلام إلا فيما تحته عمل، وينقل عن العلماء من قبله أنهم كانوا كذلك(١٢٠)، وأكثر جدلِ الناس والمشتركين في مشروع هو في خصوماتٍ لا عملَ من ورائها، فحاول أن تنتقل إلى السؤال النافع: ماذا بعدُ؟

٥ ينبغي أن يجعل المسلمُ أمام عينه «ماذا أعددتَ لها؟» منهجًا لحياته، يسارع في محاسبة نفسه كلَّ يوم، ليرى كيف يلقاه اللهُ عزَّ وجلَّ؟ أيلقاه راضيًا عنه أم ساخطًا عليه؟

٦ محبةُ الله تعالى ورسوله ﷺ ليست مجردَ أقاويل وميولٍ نفسيَّة، ولكنه شعورٌ يملأ القلبَ، فيُتبع ذلك الحرصَ على رضا المحبوب، وطاعته، بحسب ما قام في القلب، حتى تؤول إلى التقديم على الأهل والمال والولد والناس أجمعين، فمن

---

(١١٧) رواه مسلمٌ (٢٦٠٤).

(١١٨) رواه الترمذي برقم (٦٩).

(١١٩) ينظر: «الكواكب الدراري» للكرمانيِّ (٢٢/ ٣٥).

(١٢٠) ينظر: «جامع بين العلم وفضله» لابن عبد البرِّ (٢/ ٩٥).

ادَّعى المحبة فلينظر في نفسه هل يجد دليلًا من ذلك على محبته؟ قال الحَسَنُ البصريُّ: زعم قومٌ أنهم يحبون اللهَ تعالى فابتلاهم بهذه الآية: ﴿قُلْ إِن كُنتُمْ تُحِبُّونَ ٱللَّهَ فَٱتَّبِعُونِى يُحْبِبْكُمُ ٱللَّهُ وَيَغْفِرْ لَكُمْ ذُنُوبَكُمْ ۗ وَٱللَّهُ غَفُورٌ رَّحِيمٌ﴾ [آل عمران: ٣١][١٢١].

٧ مهما أخذت المعاصي من قلبك ووقتك، فإياك أن تخدشَ تعظيمَك لله تعالى ومحبته، ولرسوله ﷺ، إننا جميعًا لا نبلغ مقامَ أنبياءِ الله صلوات الله وسلامه عليهم في الجنَّة؛ لعظيم فضلهم وكبيرِ عملهم وصدق إيمانهم واتباعهم، مع ما أدركهم من البلاء. إلَّا أننا نستطيع أن نكون معهم في الآخرة بحسن محبتهم، وتوقيرهم، واتباع سُنَّتهم، وتقديم محبتهم على محبة جميع الناس. فيالها من بشرى لمن جد، ولهذا قَالَ أَنَسٌ ﷺ: «فَمَا رَأَيْتُ الْمُسْلِمِينَ فَرِحُوا بَعْدَ الْإِسْلَامِ بِشَيْءٍ مَا فَرِحُوا بِهِ»[١٢٢].

٨ حاول أن تزيد محبتك لله تعالى ولرسوله ﷺ بالبحث عن أسباب ذلك ومظاهره، ككثرة ذكر الله تعالى والصلاةِ على النبيِّ ﷺ، وتحديثِ القلب بشعور المحبة لهما، وتذكُّر نعمهما، والعزم على تقديم طاعتهما، وكلما رأيت محبًا يطلب رضا محبوبه فليكن حبَّك لله تعالى ولرسوله ﷺ أعظم: ﴿وَمِنَ ٱلنَّاسِ مَن يَتَّخِذُ مِن دُونِ ٱللَّهِ أَندَادًا يُحِبُّونَهُمْ كَحُبِّ ٱللَّهِ ۖ وَٱلَّذِينَ ءَامَنُوٓا۟ أَشَدُّ حُبًّا لِّلَّهِ﴾ [البقرة: ١٦٥].

(١٢١) «تفسير ابن كثير» (٢/ ٣٢)، وفيه ذكر الآية إلى هنا.

(١٢٢) رواه أحمد (١٢٠٣٢).